

هَلْ كَسَّرَ الأمير بن سلمان عُزْلَتَهُ وَاجتازَ اختِبارَ قِمَّةِ العِشرين بنجاحٍ؟
وهَلْ كانتِ الصُّورةُ الجَماعِيَّةُ ومَكانَهُ فيها مِقياسًا للحُكم؟



ولِمَذا خَرَجَ الرَّئيسُ بوتين عَن النِّصِّ وأحْرجَ ترامبَ عِندَما تَعَمَّدَ المُصافَحةَ الحارَّةَ؟
وكيفَ سيُتَرجِمُ أردوغانُ عُصْبَتَهُ المَلحوظَ في الأيَّامِ المُقبِلَةِ؟
عبد الباري عطوان

شَكَّلتِ قِمَّةُ العِشرين الاختِبارَ الأقوَى لوليِّ العَهدِ السَعوديِّ الأميرِ محمد بن سلمان بن عبد
العَزيز، لأنَّها كانتِ المَرَّةُ الأولى التي يَظْهَرُ فيها في مَحْفَلِ دَولِيٍّ، وعلى هذا المُستَوَى، وسط
أبرزِ زُعماءِ العالمِ، مُنذُ عمليَّةِ اغتيالِ الصِّحافي جمال خاشقجي في مَقَرِّ قُنصليَّةِ بلاده في
إسطنبول قبلَ شَهرينَ تَقرِيبًا، وتَوجِيهِ البعضِ بأصابعِ الاتِّهامِ إليه باعتِبارِهِ كانَ على درايةٍ
بِهَذِهِ المُؤامِرَةِ ويَقِيفُ خَلْفَها.

انقَسَمتِ الآراءُ حَولَ مكانَةِ الأميرِ بن سلمان ونَظَرَةِ زُعماءِ العالمِ إليه، فبينما قالتِ وكالةُ الأنباءِ
العالميةِ "رويترز" أنَّه كانَ يعيشُ عُزْلَةً حيثُ تَجاهَلَهُ مُعْظَمُ زُعماءِ العالمِ، ورَفَضوا
مُصافَحتَهُ أثناءَ التِقاطِ الصُّورةِ الجَماعِيَّةِ للمُشاركينِ في القِمَّةِ، حيثُ كانَ مكانَهُ في أَقصى
يَمينِ الصَّفِّ الثَّانِي، وبَدَا عليه التَّوتُّرُ والنَّزَرُفَرزَةُ، رَأَتْ زَميلَتَها ومُنافِستَها وِكالَةَ
الأنباءِ الفِرنسيَّةِ العَكسَ تامامًا، واعتَبرتِهِ "نجم" القِمَّةِ حيثُ تسلَّطتِ عَلَيهِ الأضواءُ، وقالتِ
أنَّه لم يَبْدو "مَنذُبوذًا" مِثْلَما تَوفَّعَ بعضُ المُحلِّلينِ، والتَقَى حَوالِيَّ 12 زَعيمًا، ولم
يَفْتَحِ المُدَّعي العامُ الأرجنتينيَّ أيَّ تحقيقاتٍ معَ الأميرِ بن سلمان تَلبيةً لطلَبِ مِن مُنظِّماتِ

لحقوق الإنسان أبرزها "هيومان رايتس ووتش"، بسبب دوره في اغتيال الخاشقجي، وجرائم الحرب في اليمن، وغادر الأرجنتين مثلما دخلها.

مُعظَم القادة الذين صافحوا الأمير بن سلمان التَقوه خلف أبوابٍ مُغلقةٍ، ونحن نتحدَّث هُنَا عَنْ زُعَمَاء دُوَلٍ كُبرىٍ مثل الصين والهند وكوريا الجنوبيَّة وبريطانيا وفرنسا وكندا والمكسيك، البعض منهم ركَّز على العلاقات التجاريَّة، بينما تعمَّد البعض الآخر، مثل تيريزا ماي، رئيسة وزراء بريطانيا إلى مُطالَبته بالتَّعاون مع المُحقِّقين الأتراك في قضية خاشقجي حتَّى يتم الوُصول إلى مُحاسبةٍ في إطارٍ من الشفافيَّة، ودَعَم المُفاوضات حول اليمن، أمَّا إيما نويل ماكرون، فذهب إلى ما هو أبعد من ذلك عندما طالب بتحقيقٍ دوليٍّ لتَحديدِ هُويَّة القاتلة، وتقديمهم إلى العَدالة، وجرى تسريب للقاءٍ مُصَوِّرٍ بين الاثنين اعترف فيه الرئيس الفرنسي بقلَّقه، واتَّهم الأمير السعودي بأنَّه لا يستمع إليه، وهو ما نَفاه الأخير، أمَّا جاستن ترودو، رئيس وزراء كندا الذي تَصَّرف علاقات بلاده بالسعوديَّة بالتَّوتُّر فقد كان أجْراً الجَميع عندما فتح مِلَف انتهاكات حقوق الإنسان المُتصَّخِّم في السعوديَّة، وأثارَ مُجدِّداً قضية النِّشطاء المُعتقلين والمُعتقلات، إلى جانب قضية اغتيال خاشقجي.

المُصافحة الحارَّة بين الأمير بن سلمان مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على هامش القمَّة تَصَدَّرت مُعظَم شاشات التِّلْفزة العالميَّة ووسائل التواصل الاجتماعي، وهُنَاكَ مَنْ يَعتقد في أوساط المُراقبين أنَّ الرئيس بوتين بالَغ بالحفاوة بالأمير السعوديِّ، لإِغاطة الرئيس الأمريكيِّ دونالد ترامب، الذي كانَ يَندُظُر إلى اجتماعِ الرِّجُلين وتبادُلهما الصَّحِّحات والابتسامات بقلْقٍ شديدٍ، وعَصَبٍ واضحٍ خاصَّةً أنَّه، أي ترامب، تَجَنَّب عقد أيِّ لِقَاءٍ رَسْمِيٍّ مع وليِّ العَهْد السعوديِّ، واكتَفى بتبادُل المُزاح معه في لِقَاءٍ عابِرٍ، حسب بَيانٍ رَسْمِيٍّ أمريكيٍّ .

الرئيس بوتين الذي أُلغى الرئيس ترامب لِقَاءً كانَ مُقرَّراً معه على هامش القمَّة بسبب تَطَوُّرات أزمة اوكرانيا، رَدَّ بطريقةٍ تَنطَوِي على الكثير من الدَّهَاء، عندما نجح في استغلال حالة الحَرَج التي يعيشها وليُّ العَهْد السعوديِّ، وحاول إبعاده ولو جُزئياً عَن الحَليف الأمريكيِّ التَّاريخيِّ باستقباله ومُصافحته بحرارةٍ، وتوصَّل معه إلى اتِّفاقٍ بتَمديد خفض إنتاج النِّفط الذي جرى التَّوصُّل إليه أثناء اجتماعِ الجزائر بينَ وُزراء نِفط "أوبك" وروسيا قَبيل سَنَةِ أَشْهُرٍ، والأهم من ذلك أنَّ الرِّجُلَيْن اتَّفَقا على قيامِ الرئيس الروسيِّ بزيارةٍ إلى الرِّياض أوائل العام المُقبِل، وَقَدَّ تكون المُكافأة عُقوداً تجاريَّةً واستثماريَّةً وصَفَقات ضخمة أثناء هَذِهِ الزَّيَّارة.

لا شكَّ أنَّ الأمير بن سلمان كَسَّرَ جُزءاً كَبيراً من حائِط العُزلة حَوْلَ نَفْسِهِ وبلاده، بعد اعتراف حُكومته رَسْمِيَّاً بقتلِ الخاشقجي وتفطيع جُثثته، والضَّجَّة الإعلاميَّة الكُبرى التي

تَرْتَبِتْ عَلَى هَذِهِ الْجَرِيْمَةِ وَأَثَرَتْ بِشَكْلِ سَلْبِيٍّ عَلَى صُورَتِهِ وَالسَّعُودِيَّةَ فِي الْعَالَمِ، وَلَكِنْ مَا زَالَ هُنَاكَ طَرِيقٌ طَوِيلٌ يَتَرْتَبِتْ عَلَيْهِ قَطَاعُهَا لِإِصْلَاحِ هَذِهِ الصُّورَةِ، وَانْدِمَاجِهِ بِشَكْلِ طَبِيعِيٍّ فِي الْأُسْرَةِ الدَّوْلِيَّةِ.

ولعلَّ ما كَشَفَتْهُ صَحِيفَةُ "وول ستريت جورنال" المُقَرَّبَةُ مِنَ الرَّئِيسِ تَرَامْبِ يَوْمِ أَمْسِ السَّبْتِ مِنْ مُقْتَطَافَاتِ مِنْ تَقْرِيرِ سِرِّيٍّ لَوِكَالَةِ الْمُخَابِرَاتِ الْمَرْكَزِيَّةِ كَشَفَ أَنَّ الْأَمِيرَ بِنَ سَلْمَانَ بَعَثَ بِ11 رِسَالَةٍ إِلَى مُسْتَشَارِهِ الْأَوَّلِ السَّيِّدِ سَعُودِ الْقَحْطَانِيِّ الَّذِي شَكَّكَلْ وَأَشْرَفَ عَلَى فَرِيقِ الْمَوْتِ قَبْلَ سَاعَاتٍ مِنْ قَتْلِ خَاشِقِيِّ، تُؤَكِّدُ أَنَّهُ كَانَ عَلَى عِلْمٍ مُسْبِقٍ بِخُطَاةِ الْاِغْتِيَالِ الْمُدْبَّرَةِ، هُوَ أَحَدُ الْأَدْلِيَّةِ الْمُهِمَّةِ فِي هَذَا الصَّدَدِ، خَاصَّةً أَنَّ الْوِكَالَةَ نَفْسَهَا تَوَصَّلَتْ إِلَى نَتِيْجَةٍ مُؤَكَّدَةٍ بِأَنَّ الْأَمِيرَ السَّعُودِيَّ هُوَ الْمَسْؤُولُ الْأَوَّلُ عَنَ هَذِهِ الْخُطَاةِ فِي تَقْرِيرِ آخَرَ. مَنْ شَاهَدَ حَالَةَ الْغَضَبِ وَالتَّجَاهُلِ الَّتِي ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِ الرَّئِيسِ التُّرْكِيِّ رَجَبِ طَيْبِ أَرْدُوغَانَ أثنَاءِ مُرُورِهِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَكَانِ وَقُوفِ بِنَ سَلْمَانَ عَلَى مَنْصَةِ التَّقَاطِ صُورَةَ الزُّعْمَاءِ، يَخْرُجُ بِانْطِبَاحٍ مُؤَكَّدٍ بِأَنَّ مُسَلْسَلَ الْمُفَاجَأَاتِ حَوْلَ جَرِيْمَةِ الْقَتْلِ الْمَذْكُورَةِ لَنْ يَتَوَفَّفَ، خَاصَّةً أَنَّ مُسْتَشَارِي الرَّئِيسِ أَرْدُوغَانَ أَكَّادُوا أَنَّهُ رَفَضَ طَلَابًا مِنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ السَّعُودِيِّ بِلِقَائِهِ عَلَى هَامِشِ الْقَمَةِ، وَنَفَّوْا رَغْبَتَهُ فِي التَّوَصُّلِ إِلَى أَيِّ صَفَقَةٍ تُؤَدِّي إِلَى إِغْلَاقِ هَذَا الْمِلَافِ.

قُلْنَاهَا، وَنُكْرَهَا، الْمَصَالِحُ تَتَقَدَّمُ عَلَى قِيَمِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَقَمَّةُ الْعِشْرِينَ وَلِقَاءَاتِ 12 زَعِيمًا مَعَ الْأَمِيرِ بِنَ سَلْمَانَ تُؤَكِّدُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، فَإِذَا كَانَتْ زِيَارَتُهُ الَّتِي لَمْ تَسْتَعْرِقْ إِلَّا أَرْبَعِ سَاعَاتٍ لِتُونِسَ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْقَمَةِ عَادَتْ عَلَى الْخَزِينَةِ التُّونِسِيَّةِ بِحَاوَالِيٍّ نِصْفِ مِليَارِ دُولَارٍ، فَلِمَاذَا الْاِسْتَعْرَابُ؟ فَعَضْبَةُ الشَّارِعِ الْعَفْوِيَّةِ شَيْءٌ وَمَا يُرِيدُهُ وَيَفْعَلُهُ الْحُكَّامُ شَيْءٌ آخَرَ مُخْتَلَفٌ كَلَّيًّا.

لُغَةُ الْمَالِ وَالْمُسَاعَدَاتِ هِيَ الْأَقْوَى مِنْ كُلِّ اللُّغَاتِ الْآخَرَى، وَهَذَا هُوَ السَّلَاحُ الْأَكْثَرُ أَهْمِيَّةً فِي جُعْبَةِ الْأَمِيرِ السَّعُودِيِّ، مُضَافًا إِلَى ذَلِكَ إِحْكَامُ قَبْضَتِهِ عَلَى الْحُكْمِ فِي بِلَادِهِ، فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى أْبْعَدِ نُقْطَةِ جُغْرَافِيَّةٍ فِي أَمْرِيكَ الْجَنُوبِيَّةِ، وَهِيَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْعَوْدَةِ إِلَى الرَّيَاضِ، وَكَأَنَّهُ فِي نَزْهَةِ صَيْدٍ فِي الصَّحْرَاءِ الْمُحِيطَةِ بِهَا.. هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ تَجَاهُلَهَا، شِئْنَا أَمْ أَبَيْنَا، حَتَّى الْآنَ عَلَى الْأَوَّلِ.. وَالْأَعْلَامُ.